بناء الرواية :

د « صراخ في ليل طويل » بناء القصة القصيرة التي تتكشف في لحظة زمنية محددة ، لا بناء الرواية التي تمتد في الزمن . فالرواية « صراخ ... » تقوم على لحظة زمنية محددة ومكثفة هي : الزمن الذي يستغرقه امين في الطريق الى بيت عناية هانم (المرأة الاقطاعية التي يعمل في كتابة تاريخ اسرتها : آل ياسر) . وفي الطريق يلتقي بعض الاصدقاء ويجلس في المقهى ، وخلال كل ذلك يتذكر و « يسرد » تاريخ حياته ، ومنه نعرف انه (امين) صحافي وكاتب روائي نشأ نشأة فقيرة ، وعندما يصل الى بيت آل ياسر يعرف ان عناية هانم ماتت ، ثم تعرض عليه اختها « ركزان » ذات الخامسة والاربعين (هو في الثلاثين) الزواج ، وكأنها بذلك تعلن تعلقها بالمستقبل ، ثم تمزق وثائق الاسرة؛ هذه الوثائق التي تستخدم في كتابة تاريخها ، وبعدها تحرق القصر ، وعندما يصل امين الى بيته تعود اليه زوجته التي هجرته منذ عامين ، لكنه يرفضها . النقطة المكثفة التي تبنى من خلالها الرواية هي مسير امين الى بيت عناية هانم ، ومن هنا نجد في الرواية مستويين للزمن :

١ ــ المستوى المباشر والحاضر ، وهو المدة الزمنية من قرار أمين الذهاب الى بيت آل ياسر ، ثم عودته وعودة سميه .

٢ ــ مستوى تاريخ حياة امين الشخصية ككل ، وهو مضمن في المستوى الاول؛ لانه يتذكر خلاله . ومستوى الزمن الثاني هنا مستخلص من مونولوجات وتذكرات وحوارات امين في الطريق الى بيت آل ياسر ، وذكرياته في البيت .

اذا كان المستوى الاول للزمن يتسلسل ــ يستغرق ــ عبر نصف يوم تقريبا ، فان المستوى الثاني يمتد عبر ثلاثين عاما هي تاريخ حياة امين ، منذ أن كان طفلا شديد الفقر الى أن صار كاتبا مشهورا .

ان هذا التكثيف للزمن ، وابراز الرواية من وجهة نظر شخصية واحدة ، على الرغم من احتوائها شخصيات اخرى ــ كما سنرى ــ هو الذي جعل الرواية اقرب الى تعريف القصة القصيرة . فتكثيف الزمن عبر « لحظة » قصيرة ، وابراز شخصية محورية واحدة ، في لحظة واحدة ومركزة الحدث حولها ، كل ذلك من ركائز القصة القصيرة ، على العكس من الرواية التي يكون مدارها ــ عادة جماعة ما في مرحلة طويلة نسبيا ، وذلك هو الفصل بين القصة القصيرة والرواية ، لا عدد الصفحات . لكن هذا الكلام لا ينفي ان امين ، كشخصية روائية ، يمثل نموذجا اجتماعيا عاما في مرحلة تاريخية محددة . فمن هي هذه الشخصية ومن وماذا تنمذج ، وما هي علاقتها بباقي الشخصيات ؟

امين : صحافي وكاتب يتحدر من اسرة قروية فقيرة ضاقت بها الحال ، فهاجرت الى المدينة ، وعمل عند تاجر (ابو زوجته سمية فيما بعد) ، ثم يتزوج ابنة احد كبار التجار في البلد ، وبذلك ، وبالوضع المادي الجديد ، فان امين ينتقل الى طبقة جديدة . ان امين خلال الرواية يتذكر الفقر ولا يعيشه ، يصفه من بعيد ، من الذاكرة . وهذه الملاحظة مهمة جدا ستفيدنا في المستقبل حيث ستتذكر شخصيات جبرا الفلسطينية فلسطين دون أن تعيش حياة الفلسطينيين ، ستقدم شخصيات جبرا في المستقبل شخصيات مثل امين ، ومن موقع غناها